سلماني شعبان كان آخر معدوم بالمقصلة، وأنه(بن عياد) آخر من بقي من رفقاء الشهيد. وأنه حضر اللحظات الأخيرة قبل عملية الإعدام (28 جوي 1957)، ويذكر أن الرجلين قاما يصليان وأخبراه بأنه سينفذ فيهما الحكم بالإعدام بعد أن أعلمهم بذلك المحاميان جيجال وبوقيرار (عينتهم الجبهة) الذيْن أخبراهما بأن الجنرال ديغول رفض طلبهما العفو. وأضاف المجاهد بن عياد أن رجال السجن هجموا على الزنزانة في الساعة الرابعة صباحا بحضور كل من وكيل الجمهورية ووكيل السجن والحراس والإمام الشيخ بوكرسي وقام الحراس بنزع السلاسل عنهما من الأرجل وقيدوا أيديهما خلف الظهر. وأن المجاهدَيْن هتفا: الله أكبر.. تحيا الجزائر، المجد والخلود للشهداء الأبرار.)[1].

وأخيرا لا يسعني إلا أن أهنئ المكتبة الجزائرية على مثل هذه الشهادات والدراسات المتأنية والرصينة، لتبقى شعلة المجاهدين والشهداء وقادة تنير درب المستقبل للأجيال القادمة. ونتمنى المزيد من المذكرات والشهادات من مجاهدي الثورة التحريرية. والمزيد من عقد الندوات التي تميط الغبار عن بعض أحداث الثورة. كما يجب تعميم الفائدة بطبع مثل هذه الشهادات والدراسات ووضعها في المكتبات العامة، ليتسنى للطلبة والباحثين الاطلاع عليها وإثرائها.

[1]–أمدنا المجاهد بن عياد قدور رئيس "الجمعية الولائية لقدماء المحكوم عليهم بالإعدام 1954–1962" بمختصر عن حياة الشهيد، المقابلة في مقر الجمعية يوم 2021/6/6. ما يزال المجاهد بن عياد يتمتع بصحة جيدة عندما قابلناه في التاريخ المذكور.

مجلة إنسانيات معاصرة (Revue Inssaniyate Mouãssira)
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة -
ISSN : 2830 - 8050
المجلد: 01 العدد: 01 مارس 2022 م الموافق لـ: شعبان 1443 هـ

المقّري ومنهجه في نفح الطّيب

– دراسة موازنة في تراجم الأعلام –

Al Makarri and his Methodology in Nafhu Attayb:
A Comparative Study in the Biographies of Celebrities

أ/د. عبد القادر سلاّمي. د. لطيفة يوسفات

ملخص

تسعى في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على حياة المقَّري (986-1041هـ) وترحاله بين ربوع الوطن العربي مغربه ومشرقه،و موقع كتابه الرّائد "نفح الطّيب" من آثاره، مُدللّين على أهميته في التأريخ للعلم ورواته منهجاً وخصائصَ ومصادر التّرجمة للأعلام فيه، وذلك بعرض نماذج من تراجمه وموازنتها بما جاء منها في أهمّ ما أشار إليه من مصادره في النّفح أمثال: المقتبس من أبناء الأندلس لأبي حيّان القرطبي (ت422هـ)، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، لعبد الله الحميدي (ت488هـ) و"وَفَيات الأعيان في أنباء أهل الزّمان، لشمس الدّين ابن خلّكان (ت681هـ).

– الكلمات المفتاحية:

المقري، نفح الطيب، منهج، خصائص، تراجم، موازنة.

(Revue Inssaniyate Mouãssira) مجلة إنسانيات معاصرة
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة -
ISSN : 2830 - 8050
المجلد: 01 العدد: 01 مارس 2022 م الموافق لـ: شعبان 1443 هـ

ABSTRACT

The following study seeks to shed some light on the life of Al-Makarri (986 – 1041 H) and his peregrinations in Arab countries, east and west, and the importance of his pioneering book " Nafhu Attyb". We seek to highlight its significance in chronicling for science and its narrators from the methodological angle as well as its characteristics and the sources he used for his celebrity biographies. We proceed to this by presenting samples of his biographies and comparing them wih the most important samples he provided in his sources in "Nafhu Attayb," like the book titled " Al- Moqtabis min Abnaae Al-Andalus' by Abi Hayyan Al-Qortobi (D. 422 H), as well as " Jethwatu Al-Moqtabis in Mentioning the Walees of Al-Andalus and the Names of Hadith Narrators and Islamic Jurisprudence and Intelligent Poets" by Abdullah Al-Humeidi (D. 488 H) and " Wafayat Al-A'lam fi Anbaae Ahli Zaman" by Shamsu Eddine ibn Khillikan (D.681 H).

Keywords

:Al-Makarri . Nafhu Ettyb , methodology ,characteristics. biographies . comparison.

مقدمة:

يعد المقري من الأعلام الذين لم تحتضنهم بيئة بعينها، ثم لما كانت حياته العلمية، أدبية موزَّعة على كل من تلمسان، وفاس ومصر ومكة والمدينة والقدس ودمشق ولم تنزو تحت سماء واحدة من سمَاوات الأقطار العربية، فطوّف وجوّل، واستفاد، وأفاد في جميع الأقطار التي حلّ بها، وترك وراءه صوتا رنانا، وآثارا مدونة في مكتباتها وخلّف هناك تلامذة نجباء وكسب أصدقاء مخلصين، قد ترجموا له في تأليفهم، وأطْروه في أنديتهم ومجتمعاتهم.

وقد خلفَّ المقري آثاراً عديدة، إلاَّ أنَّ "نفح الطّيب من غصْن الأندلس الرَّطيب" يأتي في مقدمتها من حيث أهميته في التأريخ للعلم ورواته

في المغرب والمشرق. فهو يُعدّ من المؤلفات المسهبة القليلة التي قصرت مادتها على الحياة الأدبية في الأندلس من حيث جمع فيه صاحبُه مختارات كثيرة من المنظوم والمنثور إلى جانب من أخبار الأندلس وتراجم أعلامها.

1. حياة المقّري وثقافته:

في العهد الذي وضع فيه العثمانيون أيديهم على الحكم في تونس وفي القطر الجزائري من حيث ملكت الدولة السعدية زمام القيادة والحكم في المغرب الأقصى، ولد أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن المقّري القُرشي[1] المغربي المالكي الأشعري، المكنى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين سنة تسعمائة وستة وثمانون (986 هـ) بمدينة تلمسان بالجزائر[2]، بيد أن المقّري لم يذكر لنا تاريخ مولده لكن ما هو مؤكد ما ذكرناه أعلاه[3]، وأصل أسرته من قرية مقّرة[4*]، عرفت أسرته بثروتها وجاهها وعلمها بها، منذ أن انتقل إليها

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر:302/1، وينظر: نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، 309-310 .

[2] ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان *عبّاس*، 5/1 ، وينظر: محمد، بن عبد الكريم، التحفة المرضية في تاريخ الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ص71.

[3] ينظر: عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص 374.

[*] المقّرة أو المقْرة: وهي إحدى القرى التاريخية الهامة في الغرب الجزائري قرب قلعة بني حماد. والخلاف في ضبط القاف بالتشديد أم السكون، والشهير والجاري على الألسنة بالسكون. أما ما هو ثابت في المصادر، فبالتشديد كما هو مشار إليه في المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 311/1.

[4] ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب5/1.

جدّها في القرن السادس الهجري صُحبة الشيخ الصوفي أبي مدين (ت594هـ)؛ ولعل وضع أسرته ذلك كان القاعدة الأساسية التي انطلق منها أين نشأ بين أحضان بيئة مثقفة، وثيقة الصلة بالعلمِ والعلماءِ، فمهدت له الآفاق نحو العلم والتعلّم.

ومما نخلص إليه، أنّ أبا العباس المقّري نشأ بتلمسان، وطلب العلم فيها، فقد كانت نشأته على منهج نشأة أبيه، وأجداده من قبل "نشأة الصيانة في الخلقِ والجِدِّ في الدرس والسباق إلى الجد العلمي والنبوغ الأدبي"[1]، حيث كانت تلمسان مقر تعليمه الأول، فنهل من كل علم فدرس الأدب والحديث والفقه المالكي دراسة حسنة، بالإضافة إلى العلوم الأخرى

لكن كان للبيئات الثلاثة السالفة الذكر: المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى (فاس، مراكش وما يليها) والمشرق العربي (مصر، الحجاز الشام وما يلي ذلك) الأثر البالغ والفعال في حياة المقّري[2]؛ فإن شيوخه يعدّون العُمدة في تكوين رصيده الثقافي والمعرفي، لذلك سنحاول أن نسوق تباعاً بعضا من شيوخه،على قلتهم، مرتبين إياهم حسب الأماكن والبلدان التي حلّ بها.

---

[1] زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني، مجلة المجمع العلمي العربي، ج3، المجلد: 39، دمشق 1384هـ-1964م، 395/39/3.

[2] محمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص 254-256، وينظر: المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1-311. وزمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني، مجلة المجمع العلمي العربي، 393/3-401، وبروفينسال، ليفي، نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، ص 89-91.

– بتلمسان:

تتلمذ أبو العباس المقّري في صباه على يد شيخٍ واحدٍ دون سواه هو عمه أبي عثمان سعيد المقّري عالم تلمسان، ومفتيها، فلازمه ملازمة الظل للإنسان حتى تخرج عليه في جميع مواد الثقافة وفنون العصر[1]، فكان نعم الأستاذ الموجّه والقدوة المربّي، فتعهده بفنون من العلم، وألوان من الثقافة كان أولها حفظه للقرآن الكريم، فطبعته تلك الثقافة منذ نشأته الأولى بطابع المعين الذي لا ينضب. وكانت تلمسان حينها لا تزال من أهم مراكز الدراسة الدينية بالمغرب الأوسط.

– بالمغرب الأقصى:

لقد كان العلماء الذين تتلمذ المقّري على أيديهم بالمغرب الأقصى بفاس على الخصوص كثيرين موازنة بالذين أخذ عنهم بتلمسان، ومنهم:[2]

أ– أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي المتوفى سنة 1018هـ. بعد العصر في المسجد المجاور لداره بـ "العقبة الزرقاء"، وكان يحضره العلامة واحد عصره أبو العباس أحمد بن محمد المقّري"[3].

---

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 303/1.

[2] زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني، ص 260. وينظر : نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 310.

[3] محمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص 260.

ب– "أبو القاسم ابن محمد بن أبي القاسم ابن محمد أبي نعيم الغساني" المتوفى في سنة 1032هـ.

ج– "أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي القيسي، الشهير بـ"القصار" لقباً لا مهنة المتوفي سنة 1012هـ.

ز– "أبو القاسم بن محمد الغساني الوزير الطبيب"، قال عنه المقّري: "من أهل فاس، لقيته بها فإذا هو لعين المجد إنسان، ولأمطار الجون نيسان... تفرد، حفظه الله، بعلم الطب بالحضرتين (مراكش وفاس) وشارك في سائر العلوم، مولده، حفظه الله، على ما أخبرنا به سنة 955 هـ...رحل إلى الشرق فُقد هناك، ولم يدر له خبر."[1]، ويقول المقّري في مكان آخرمن كتابه "روضة الآس": "ومن ذلك تأليفان في الطب للشيخ العالم الماهر شيخنا أبي القاسم الوزير، أبقاه الله"[2]؛ فيبدو من هذا النص أنه تتلمذ لأبي القاسم الوزير.

ح– "أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن أقيت الموسوفي التنبكتي المعروف بـ: "أحمد بابا السوداني"، المتوفى سنة 1032.

[1] المقّري أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي، روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس، ص 217-223.

[2] المصدر نفسه، ص 69 .

– بالمشرق العربي:

ومنهم:[1]

أ– "أبو الإرشاد نور الدين علي بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين ابن عبد الرحمن الأجهوري" المتوفي سنة 1066هـ.

ب– عبد الرؤوف بن تاج الدين بن علي بن زين العابدين المناوي، المتوفي سنة 1031هـ.

ج– أبو السعود نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري الغزي، المتوفي سنة1061هـ.

1. آثاره وموقع نفح الطيب منها:

للمقري مؤلفات عديدة أهمها:

1– "روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"[2] ألفه حوالي (1011هـ – 1012هـ)، ليقدمه إلى المنصور أحمد الذّهبي (طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1964 بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور.

[1] ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 7/1 – 1413.

[2] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني 401/3.

2- "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، ألفه أثناء إقامته بفاس 1013-1027هـ. ولم يطبع منه إلاّ أجزاء، بتحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي(القاهرة 1939م – 1942م).

3- "إضاءة الدجنة بعقائد أهل السُّنة"، منظومة بدأ بتأليفها أثناء زيارته للحجاز سنة 1029هـ، ودرسها في الحرمين الشريفين، وأتمها في القاهرة سنة 1036هـ.

4- "إتحاف المغرم المغرى في شرح السنوسية الصغرى"، وقد تقدم في تأليفه مؤلَّفه "إضاءة الدّجنة بعقائد أهل السنة" أنه كان يدرس السنوسية لطلبته بمصر ومن شرحه لها نسختان بالخزانة الملكية بالرباط رقم-5928.3544.[1]

5- "أجوبة على مسائل أرسلها إليه أستاذه محمد بن أبي بكر الدّلائي سمّاها "أعمال الذّهن والفكر في المسائل المتنوعة الأجناس..." توجد ضمن كتاب البدور الضاوية بخزانة الرباط.[2].

6- "حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي" ذكرها المحبي.[3]

---

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني 12/1

[2] المصدر نفسه، 302/1..

[3] المصدر نفسه، 303/1.

7- "عرف النشق في أخبار دمشق" ذكره المحبيو لعله كان مشروعاً، لم يتم.

8- "شرح مقدمة ابن خلدون" ذكره حاجي خليفة.[1]

9- " قطف المهتصر في شرح المختصر" شرح على حاشية مختصر خليل (ذكره المحبي).[2]

10- "فتح المتعال في مدح النعّال" طبع بالهند، ولما اطلع الرحالة أبو سالم العياشي على كتاب بمكّة اسمه "منتهى السول من مدح الرسول" ووجد فيه مجموعة من الشعر في مثال نعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

11- وكان المقري قد ختم كتابه السابق برجز في النّعال الشريفة ثم أفرده في نسخة بعث بها إلى شيخه الدلائي (المخطوط رقم 565 بالخزانة العامة بالرباط) ولعله المسمى "النفحات العنبرية في نعل خير البرية".

12- وللمقري أراجيز كثيرة أخرى منها "أزهار الكمامة في شرف العمامة"، الخزانة العامة بالرباط، المخطوطة 984.

13- والدر الثمين في أسماء الهادي الأمين، ذكره المحبي.[3]

---

[1] حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 106/2.

[2] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 303/1.

[3] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني 12/1-13.

14- ورجز "نيل المرام المغتبط لطالب المخمس الخالي الوسط" مخطوطة الرباط، 2878 ك.

15-"البدأة و النشأة"، ذكره المحبي.[1]

16- "حسن الثنا في العفو عمن جني"، طبع بمصر في 47 ص دون تاريخ.

17 -"الغث والسمين والرث والثمين".

18- "الأصفياء" ذكره أحمد الشاهيني في رسالة بعث بها إلى المقّري.

19- "الشفاء في بديع الاكتفاء" ذكره أحمد الشاهيني في رسالته.

20- "القواعد السرية في حل مشكلات الشجرة النّعمانية".

21- "النمط الأكمل في ذكر المستقبل".

22- "أرجوزة في الإمامة".

23- "نظم في علم الجدول".

24- وذكر في النفح أنه كان يزمع تأليف كتاب في تلمسان يسميه: "أنواء نيسان في أبناء تلمسان"، ويبدو أنّه لم يحقق ذلك.[2]

25- شرح له على قصيدة "سبحان من قسم الحظوظ."[3]

---

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني، 12/1-13.

[2] المصدر نفسه، 302/1.

[3] المصدر نفسه، 13/1. ويشير فيه أنه يفهم من كلام صاحب اليواقيت أن المنظومة نفسها للمقري، ولكن بعض أبياته على وزنها وردت في النفح، ضمن رسالة للسان الدين، فلقد عارض المقري هذه الأبيات في قصيدة طويلة.

26. ونسبت له المصادر، نحو كتاب "الجمان من مختصر أخبار الزمان"، إلا أنّ الأستاذ الجنحائي يشك في نسبة هذا الكتاب إليه.[1]

27. رسالة إتحاف أهل السيادة بضوابط حروف الزيادة، ذكرها في النّفح في الجزء الثالث ص457، ولعله لم يفردها.

28- وأخير كتاب :"نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب،"الذي اتخذ طابعاً موسوعياً جعله مغنياً عن عشرات الكُتُب لصعوبة الرجوع إلى تلك الكتب مجتمعة في نطاقٍ وهو عمدتنا في الدراسة.

كما يُعدّ النّفح من المؤلفات المسهبة القليلة التي قصرت مادتها على الحياة الأدبية في الأندلس بحيث جمع فيه صاحبه مختارات كثيرة من المنظومة والمنثور إلى جانب بعض أخبار الأندلس، وصفاتها، وتراجم أعلامها وكانت نية المؤلف أن يكتفي في كتابه هذا بالتعريف بلسان الدّين الخطيب (713هـ- 776 هـ) أديب الأندلس ومؤرخها ووزيرها لأنه كان معجباً به أشد الإعجاب ولكنه، على نحو ما ذكر في خطبة الكتاب، رأى أن يوسع نطاق بحثه ليشمل سائر الحياة الأدبية في الأندلس ولعل هذا الانتقال من زاوية إلى أخرى في البحث مثالاً بارزاً على ظاهرة الاستطراد التي لازمت مصادر التراث العربي في تلك العصور، وتجلت بوجه خاص في نفح الطيب، فقي الكتاب عدا ذلك استطرادات جمة، وتنقل عابر ضمن الموضوع الواحد

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني ، 14/1.

وتكرار في مواضع متعددة. وطابع الكتاب أدبي، فقد حوى نصوصا وافية من الشّعرِ والنّثرِ، طائفة كبيرة من شؤون التاريخ والاجتماع، وهو في الوقت نفسه كتاب في التراجم تكلّم فيه المقّري على كثير من أعلام الأندلس، وفي مقدمتهم لسان الدين ابن الخطيب، وهذه العناصر كُلَّها متداخلة لا تخضع لنسق معين. أما الأسلوب فيغلب عليه التأنق والتزام السجع إلى حد التكلف أحيانا[1]، ومع ذلك رأينا المقّري يقول في خاتمة كتابه "نفح الطيب" إنه وضعه "والقلب حليف شجن وغربة والفكر أليف حزن وكربة"[2]. ولعلّ ذلك يقوم دليلاً على أنّه واحد من الأعلام الذين أدركتهم حُرفة الأدب.

2. التعريف بنفح الطيب:

اتَّخذ النّفْح طابعاً موسوعياً جعله مُغْنِياً عن عشرات الكتب لصعوبة الرجوع إلى مَظانِّه مجتمعةً في نِطاقٍ،من حيث تناول شؤونَ التّاريخ والجغرافيا والاجتماع، إلاَّ أنَّه يعدُ في الوقت نفسه كتاباً مهّما في الترجمة لأعلام الأندلس وطائفة من الوافدين عليها من أهل العلم بالمشرق العربي، من حيث كانت الترجمة لهم لا تخلو من الرُّجوع إلى بعض ما سقط إليه من أمرهم من مصادر ذات الصِلَة وطيدة بتراجم الأعلام.

فما هو هذا المؤلَّف ؟ و ماذا تناول حتى يحظى بهاته القيمة ؟

---

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني 14/1.

[2] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 117/1.

2.1. سبب تأليفه :

يعدُّ النفح هو من المؤلفات المسهبة القليلة التي قصرت مادتها علة الحياة الأدبية في الأندلس بحيث جمع فيه صاحبه مختارات كثيرة من المنظومة والمنثور إلى جانب بعض أخبار الأندلس، وصفاتها، وتراجم أعلامها وكانت نية المؤلف أن يكتفي في كتابه هذا بالتعريف بلسان الدين الخطيب (713هـ–776هـ) أديب الأندلس و مؤرخها ووزيرها لأنه كان معجبا به أشد الإعجاب ولكنه – كما ذكر في خطبة الكتاب – رأى أن يوسع نطاق بحثه ليشمل سائر الحياة الأدبية في الأندلس ولعل هذا الانتقال من زاوية إلى أخرى في البحث مثالا بارزا على ظاهرة الاستطراد التي لازمت مصادر التراث العربي في تلك العصور، وتجلت بوجه خاص في نفح الطيب، فقي الكتاب عدا ذلك استطرادات جمة، وتنقل عابر ضمن الموضوع الواحد، وتكرار في مواضع متعددة. وطابع الكتاب أدبي، فقد حوى نصوصا وافية من الشعر والنثر، طائفة كبيرة من شؤون التاريخ والاجتماع، وهو في الوقت نفسه كتاب في التراجم تكلم فيه المقري على كثير من أعلام الأندلس، وفي مقدمتهم لسان الدين بن الخطيب، وهذه العناصر كلها متداخلة لا تخضع لنسق معين. أما الأسلوب فيغلب عليه التأنق والتزام السجع إلى حد التكلف أحيانا.[1]

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني 14/1.

كان المقري شأنه شأن غيره من لماء المشرق والمغرب، يحب الأسفار والانتقال بين مواطن العلم المختلفة في البلاد الإسلامية، ففي عام 1028 هـ عزم على ترك بلاد المغرب والرحيل إلى مصر[1] فركب البحر وقاسى أهواله حتى وصل إليها، فقضى فيها فترة قصيرة في أزهارها الشريقة. وفي عام 1028 هـ ترك مصر إلى الحجاز ثم رجع إليها عام 1029هـ. وفي ربيع هذا العام قصد زيارة بيت المقدس ثم عاد إلى القاهرة و أخذ يكرر الذهاب منها إلى الأماكن الطاهرة ؛ فذهب إلى مكة حمس مرات بعد ذلك[2] وأملى فيها بعض الدروس، كما أملى الحديث النبوي بجوار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عام (1037هـ) ترك مصر إلى دمشق، حيث قابل جماعة من علماء الأندلس الذين أرخ لهم في كتابه. وكما أملى المقري الحديث الشريف عند قبر الرسول، أملى البخاري في دمشق، وبالإضافة إلى ذلك، أخذ يقصد المجالس الأدبية، بعد أن طاب له المقام في دمشق، وكانت جل محاضراته عن الأندلس، تاريخها و أدبائها[3] ومحاسنها، وذكرياتها مركزا حديثه بالخصوص على شخصية الوزير والعالم الغرناطي لسان الدين بن الخطيب فكثرة الحديث عن هاته الشخصية دلالة قاطعة على أن المقر كان يهيم به

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 302/1. زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني 14/1.

[2] المصدر نفسه، 56/1.

[3] المصدر نفسه، 57/1-58.

حبا، وإعجابا، فكان بذلك المقري "حافظ المغرب، جاحظ البيان، ولم ير نظيره في جودة القريحة، و صفاء الذهن و قوة البديهة. و كان آية باهرة في علم الكلام، والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات."[1]؛ مما جعل أحد تلاميذه يسمى ابن شاهين أحمد القبرصي (1053 هـ) المدرس بالحمقمقية يطلب منه تأليف كتابا للتعريف بابن الخطيب ومناقبه، وتراثه من نظم[2]، لكن كان طلبه ذلك مرفق بالرفض، فقد اعتذر المقري عن تلبية ذلك الطلب لكثرة مشاغله، و قلة مادته و مراجعه و خصوصا لأنه ترك معظمها في المغرب[3]، إلا أن ابن شاهين لم يستسلم إذ بعد إلحاحه وإصراره على طلبه، اضطر إزاء ذلك المقري أن ينزل عند هذه الرغبة ووعده"بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية."[4]

عاد المقري إلى القاهرة بعد أن أنفق في دمشق بضعة أسابيع، وعكف حينا على إنجاز المهمة التي أخذها على نفسه، أعني كتابته ترجمة لابن الخطيب، والتعريف بمآثره وتراثه، إذ بدأ بوضع مؤلفه حسبما يخبرنا في شهر ذي القعدة سنة 1037 هـ[5] وبعد أن قطع شوطا لا بأس به من العمل، بدا

---

[1] المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، 304/1وينظر: صوفي، عبد اللطيف، مصادر الأدب في المكتبة العربية، ص267 – 268.

[2] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 69/1.

[3] المصدر نفسه، 14/1. 71/1.

[4] المصدر نفسه،75/1 – 80.

[5] المصدر نفسه، 75/1 – 80

له أن هناك صعوبات لا يستطيع التغلب عليها، وعلى ما يبدو أن المقري لم يكن في مقامه النائي عن وطنه، هانئا قرير البال، فقد حدثنا غير مرة عن آلام الغربة فيقول:[1]

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وإن طاوعتني رقة الحال مـــرة أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وقوله أيضا:

تركت رسوم عزي بـــــلادي وصرت بمصر مسمى الرسوم
ورضت النفس بالتجريد زاهدا وقلت لها عن العلياء صومي
مخافة أن أرمي بالحرص ممـــن يكون زمانه أحد الخصـــوم

ثم يقول لنا في خاتمة كتابه "نفح الطيب" إنه وضعه "والقلب حليف شجن وغربة والفكر أليف حزن وكُربة."[2]

لقد كان المقري في منفاه متعبا معنى، والظاهر أنها كانت متاعب العيش فوق شجون الاغتراب. فقد كانت سوق العلم والأدب يومئذ كاسدة، وكان المجتمع القاهري قد فقد في ظل النير التركي بهاءه، وسعته ورخاءه، وعفت روعة الأزهر الذي كان من قبل موئل الوافدين من كل صوب، بيد أن المقري عاد فاستأنف الكتابة نزولا على إلحاح صديقه أحمد شاهين واستنجازه واستطاع أن يتم كتابه عن ابن الخطيب، بصورته الأولى في

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 74/1.
[2] المصدر نفسه، 117/1.

بضعة أشهر فقط، لعودته من دمشق وذلك في أواخر شهر رمضان سنة 1038 هـ وفيه يتناول حياة ابن الخطيب. ويستعرض صفاته وخلاله ومآثره وكثيرا من نثره ونظمه ويقول لنا إنه سمى مؤلفه لأول مرة "عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب"[1]. ولما رأى أن المادة التي اجتمعت لديه قد استوت من حيث شملت تاريخ الأندلس وأدبها، ومحاسنها وذكرياتها. وأراد تطوير الفكرة فغير اسم الكتاب وجعل له اسما جديد، هو الذي انتهى به إلينا وهو: "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، وكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، وعلى هذا النحو أصبح الكتاب قسمين: قسم خاص بالأندلس عامة، وقسم خاص بلسان الدين وما يتعلق به من شؤون وفي كل قسم من هذين القسمين فصول[2] وقد فرغ من كتابته "عشية يوم الأحد المسفر صباحها عن 27 رمضان سنة 1038 هـ بالقاهرة"[3]. ثم ألحق فيه كثير في السنة التالية بعدها فيكون جميعه في آخر ذي الحجة الحرام تتمة سنة 1039هـ.[4]

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 117/1.
[2] المصدر نفسه،112/1.
[3] المصدر نفسه، 519/7. "في خاتمة النسخة التي حققها أحمد بن محمد الحموي العطار".
[4] المصدر نفسه، 15/1.

ولقد كانت زيارة المقّري لدمشق ارتباطا بوعد ساعده على إنجاز هذا الكتاب، ولكن من المزح أن فكرة الكتاب كانت تجول في ذهنه قبل ذلك لأسباب منها:[1]

1. أن إعجابه بلسان الدين بن الخطيب، بحيث يقلده في طريقته الإنشائية ويحفظ الكثير من رسائله وشعره. كان قينا بدفعه إلى كتابة مؤلف عنه، وخاصة لإحساسه بالغربة والوحشة التين أحس بهما "مثله الأعلى" حينما لجأ إلى المغرب.

2. أن مثل هذا الكتاب كان كفيلا بأن ينفس عنه كربه، ويعود به من خلال أشعر الحنين ومن خلال التاريخ الماضي والقريب إلى وطنه، عودة نفسية وروحية.

3. أن المنهج للتأليف في لسان الدين كان سهلا مفتوحا لمسارب أمام عينيه، لأنه قد مارس مثل هذا المنهج حينما كتب عن القاضي عياض كتابا سماه "أزهار الرياض".

4. أن انفصام آخر الروابط الإسلامية من الأندلس لم يكن قد مضى عليه إلا سنوات، بكان صورة "المأساة" ما تزال تلح علة مخيلة المقري، وكان الربط بين الماضي والحاضر من الأمور التي تعين على التذكر والتذكير والعبرة في آن واحد؛ وكل من درس "نفح الطيب" بتأمل، سيشعر بهذه الناحية

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، 15/1.

ويكفينا مثلا على ذلك، تلك الوقفة الطويلة التي وقفها المقري وهو يستعيد صورة المنصور بن أبي عامر الذي يمثل البطولة العربية بالأندلس في أوجّها.[1]

5. كان المقري كغيره من المغاربة يحس مدى إهمال المشارقة للتراث الأندلسي والمغربي، وكان ذلك الإهمال في القديم للاعتداد بالثقافة المشرقية أما في عصر المقري فكان سببه ضعف الثقافة عامة، وحسبك أن تجد لسان الدين – بجلال قدره في المغرب والأندلس – محتاجا إلى من يعرف المشارقة به، ويحدثهم عن أخباره، ولهذا وجد المقري أن كتابه مؤلف جامع شامل تحقق هذا الغرض، وكان في البدو يزمع أن يقصره على لسان الدين، ثم وجد أن صورة لسان الدين لا يمكن أن تتضح إلا على محمل من التطور الأدبي والسياسي في الأندلس. وفي الوقت نفسه كان الكتاب يحقق تبيان الصلة الثقافية بين المشرق والمغرب، ولهذا خصص جزءا كبيرا من كتابه للرحلتين: رحلة المغاربة إلى الشرق ورحلة المشارقة إلى الأندلس والمغرب، وفي هذه الناحية الثانية كان المقري يحس أنه حلقه في تلك السلسلة الطويلة، وكأنه في مقدمة الكتاب وفي بعض فصوله الأخرى سجل طرفا من رحلته، كما سجل أسلافه من قبل أخبار تنقلاتهم. وبذلك أسعفه مؤلفه هذا على أن يحقق ما

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 15/15.1/1 – 17.

قد نسميه "نزعة مغربية". وهي نزعة لا تقتصر على الرحلة وإنما كانت تشمل نقل التراث المغربي الخالص والأندلس إلى المشارقة.[1]

تلك هي الأسباب التي دفعت المقّري إلى تأليف كتابه الضخم المسمى نفح الطيب، فما هو منهجه فيه ؟ وما هي المصادر التي اعتمدها في تأليفه ؟

2.2. منهجه ومصادره:

يقسم المقري كتابه على الأندلس إلى قسمين كبيرين: يخصص أولهما: للتعريف بالأندلس تاريخا وطبيعة وجغرافية، بشرا وأرضا ومدنا، ويشتمل على ثمانية أبواب: [2]

- الباب الأول: في وصف جزيرة الأندلس، ومناخها و بلدانها.
- الباب الثاني: في فتح العرب جزيرة الأندلس.
- الباب الثالث: في عز الإسلام بالأندلس
- الباب الرابع: في ذكر قرطبة وجامعها الأموي وصورها البديعة الضعة وحدائقها وأرباضها.
- الباب الخامس: في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق.

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،1/15.1/17.

[2] المصدر نفسه، 1/15.1/112 – 116 و ينظر: عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية،ص 380، وينظر: إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 271.

– الباب السادس: في ذكر الوافدين على الأندلس من أهل المشرق.

– الباب السابع: في فضائل الأندلس.

– الباب الثامن: عرض فيه تعاون الأوروبيين على اغتصاب الأندلس وتخاذل المسلمين عن معاوية أهلية.

وثانيهما: خصصه للتعريف بابن الخطيب، موطنه وأسرته، صباه وشبابه، شيوخه، وأساتذته، خطاه نحو المجد وتوهجه، محنه وأحداثه حتى وفاته، وأورد جانبا كبيرا من رسائله ونظمه وشعره، وأحصى مؤلفاته وتتبع تلاميذه وأولاده ووصاياه وهوكذلك يشتمل على ثمانية أبواب أيضا:[1]

– الباب الأول: في ذكر أولوية لسان الدين بن الخطيب.

– الباب الثاني: في ذكر نشأته وترقية ووزراته، وسعادته وشقائه

– الباب الثالث: في ذكر شيوخه.

– الباب الرابع: في مخاطبات الملوك والأكابر له.

– الباب الخامس: في إيراد جملة من نثره وأزجاله وموشحاته.

– الباب السادس: في مصنفاته.

– الباب السابع: في ذكر بعض تلاميذه.

– الباب الثامن: في ذك أولاده.

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 112/1 – 116.

ويشغل الكتاب كله أربعة مجلدات ضخمة كل قسم مجلدين فهو كما قدمنا موسوعة حقة، سواء من ناحية حجمه أو محتوياته ذلك أن المقري يحشد في كل باب من هذه الأبواب كثيرا من المعلومات والشذور والوثائق والرسائل والمختارات ويكاد كل منها يضارع كتابا بأمره. ويجري المقري على قاعدة الاستطراد.

وينتقل بقارئه من موقف إلى موقف ومن شذرة أو رسالة أو قصيدة إلى أخرى حسبما تسوقه شجون الكلام والرواية. وقد ترد خلال حديثه أم المعلومات والوثائق حيث لا ينتظر ورودها وفي كثير من الأحيان ينقل المقري إلينا رسالة بأسرها أو كتابا بأسره، ولا يعني المقري بالتنظيم والتناسق، وإنما يعرض مادة كتابه مبعثرة حسب التقسيم البسيط الشامل الذي أشرنا إليه سالفا.[1]

وممّا يبرز ذلك أن المقري لم يكن مؤرخا بالمعنى الحقيقي بل كان أديبا فقط، وهو لا يزعم أنه مؤرخ أو محقق أو ناقد، وإنما يقول لنا أنه ناقل فقط يورد من المعلومات والشذور ما اتفق، ولا يعي بتصحيحها أو تحقيقها[2] رغم ذلك فإننا نشعر أن للمقري في كتابه شخصية قوية، ونشعر بالأخص أن حرارة تنبعث من هذه الصحف الأندلسية. ذلك أن المقري يكتب عن

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 112/1 – 116.

[2] عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص 380.

الأندلس بروح يضطرم إعجابا أسى ولا غرو فقد كانت ذكريات الأندلس ما تزال في عصره حية مضطربة في المغرب ولم يكن قد مضى أكثر من قرن على سقوط الأندلس النهائي في يد إسبانيا النصرانية، بل لقد وقع عصر المقري بالذات حادث ما تزال الذكريات المشجية، هو نفي "الموريسكيين" أو العرب المتنصرين من إسبانيا في سنة (1018 هـ – 1609 م) والعرب المتنصرين هم بقية الشعب الأندلس المجيد أرغموا على التنصر بعد سقوط الأندلس. وقد وفدت منهم عند النفي عشرات الألوف إلى ثغور المغرب وقواعده، وعاد معظمهم إلى الإسلام. وشهد المقري هذه الخاتمة المأسوية وهو يومئذ بفاس، وشهد ألوفا من أولئك العرب المتنصرين وتركت هذه الذكرى والمشاهد أعمق الآثار.

وأكنَّ المقّري في نفسه بلا ريب شغف التنقيب عن تاريخ الأندلس وأحوالها وآدابها، ولم يستصحب معه حين الرحلة سوى القليل من المراجع ومنها أوراق سودها وأشياء علقت بذاكرته، ويقول لنا أيضا "إنه لو أحضر ما خلفه مما جمع في ذلك الغرض وألف، لقرت به عيون وسرت به ألباب" وإذا كان المقري يعي بهذا القليل من مادته ما ضمنه كتابة فلا ريب أن ما جمعه من المواد الأصلية كان غزيرا جدا، لأن هذا القليل الذي ضمنه "نفح

الطيب" هو في ذاته مجموعة حافلة من المواد والوثائق المختلفة، التي تلقى أعظم الضياء على تاريخ الأندلس وآدابها.[1]

إذن كان المقري ناقل ومصنف ولكن له في هذا النقل والتصنيف فضلا لا يقدر، فقد نقل إلينا عشرات الشذور والوثائق من مصادر أندلسية جليلة لا وجود لها اليوم.ولولا عناية المقري بنقلها وتصنيفها لحرمنا إلى الأبد من هذه المراجع والوثائق الهامة. ولقد كان المغرب الأقصى حتى عصر المقري أعظم مستودع لتراث الأندلس الأدبي، وكانت مكاتب المغرب ولا سيما مكتبة الأشراف السعديين عامرة إلى ذلك العهد، بكثير من الآثار الأندلسية النادرة. وكان لمولاي زيدان (1040هـ– 1045 هـ) سلطان فاس لعهد المقري شغف خاص بجمع الكتب النادرة، وقد انتفع المقري بهذا التراث الحافل واغترف منه وقيد ما شاء. ولكن الظاهر أيضا أن هذا التراث قد بدد معظمه بعدئذ بقليل: ذلك أنه حدث في عهد مولاي زيدان حادث كانت له فيما بعد علاقة مباشرة بضياع قسم كبير من الآثار الأندلسية.وذلك أن السفن الإسبانية التي كانت تجوس عندئذ مياه المغرب الغربية أمرت فيما بين آسفي وأغادير مركبا كبيرة "لمولاي زيدان" كانت مشحونة بالتحف، وبها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة المغربية والأندلسية وكان "مولاي زيدان" قد غادر مراكش تحت ضغط الحوادث وركب البحر في

[1] المصدر نفسه، ص381.المقّري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 117/1.

سفنه ملتجئا إلى الجنوب، وحمل معه تحفه ومكتبته الثمينة فغنمها الإسبان على هذا النحو، وحملت هذه الكتب إلى إسبانيا وأودعت مكتبة الإسكوريال الملكية. وقد وقع هذا الحادث في سنة 1021 هـ (1612م) حينما اشتد اضطراب العلائق بين إسبانيا والمملكة المغربية الشريفية[1]، ولبثت كتب "مولاي زيدان"في قصر الإسكوريال إلى جانب بقية التراث الأندلسي، التي كانت مودعة فيه منذ سقوط غرناطة، فاجتمع بذلك في الإسكوريال نحو عشرة آلاف مخطوط عربي معظمها من تراث الأندلس، ولكن محنة نزلت بهذا التراث النّفيس، فقد شبت النار في الإسكوريال سنة 1082هـ (1671م) والتهمت معظم الكتب العربية، ولم يبق منها سوى ألفين، وبقيت ضمن هذه المجموعات عدّة من كتب مولاي زيدان لا تزال إلى يومنا هذا في الإسكوريال؛ كان ذلك إذن السر في اختفاء كثير من الآثار الأندلسية التي كانت تحفل بها قواعد المغرب ومكاتبه في عصر المقّري، وقد جمع المقّري مادته ودوّن مذكراته أثناء مقامه بفاس بين سنتي 1013هـ و1017هـ (1603 و1606م) بمراجعة هذا التراث والانتفاع به.[2]

ومما يدل على أن المقّري انتفع بنوع خاص بالمراجعة في مكتبة مولاي زيدان التي فقدت، أنه ينقل عن نسخة وحيدة من مسند الخطيب بن مرزوق

[1] عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص 382.
[2] المصدر نفسه، ص 382.

التلمساني، التي كانت ضمن هذه المجموعة ولا تزال في الإسكوريال.[1] وكذلك يستقي معظم روايته عن سقوط غرناطة وعن العرب التنصريين من كتاب "أخبار العصر في انقضاء دول بني نصر"، وكانت منه نسخة وحيدة أيضاً في الإسكوريال.[2]

وعندما استقر منهج الكتابة في مخيلة كاتبنا ومؤرخنا حتى تراءت له مشكلة أخرى عرقلت عمله وهي ندرة المصادر الأندلسية والمغربية في المشرق رغم أنه كان ذا ذاكرة قوية، بيد أن هذه الذاكرة قد تخونه أحيانا بحيث لا تسعفه في كل وجه، ولو كانت كذلك لنقذته من التكرار الكثير الذي يقع في صفحات متقاربات أحيانا، يُضاف إلى ذلك أن هناك أشياء قد اختلت عن صورتها الأولى في ذاكرته، لأنه حفظها منذ عهد بعيد، لذلك كانت المصادر التي استقى منها المقّري مادته متعددة وغزيرة منها ما ضاع، ومنها ما لا يزال قائما، إذ أن كل من يقرأ النفح يحس أن المقّري لم يكن لديه نسخة من "الذخيرة"، أو من "المقتبس"، أو من "زاد المسافر"، أو من "الصلة" لابن بشكوال، ولم يتح له أن يطلع على "صلة الصلة"، و"الذيل والتكملة"، و" الحلة السيراء"، و"تحفة القادم"، و"جذوة المقتبس"، و"معجم أصحاب الصحفي"، وغيره من المراجع والمصادر العديدة التي لم يفض

[1] عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص 383.

[2] نشر هذا الكتاب وهو لمؤلف مجهول في أواخر القرن الماضي بعناية أحد المستشرقين الألمان، بترجمة ألمانية، ينظر: المصدر نفسه، ص 383.

البحث الحديث بشيء من أصولها القديمة؛ فالبعض من هته الكتب التي ذكرناها كان ينقل عنها بالواسطة في الغالب، تعبير إحسان عباس.[1] لكنه من ناحية ثانية قد أنقضّ على مصادر معينة فأسرف في النقل عنها لأنه لا يملك سواها. ومن هذا المنطلق فقد قسم الدّارسون " للنفح" مصادره إلى خمسة مجموعات هي:[2]

– **المصادر الأثرية**: وهي المباني التي نقشت عليها شتى العبارات النثرية والشعرية، فقرأها المقّري هناك وقيدها ضمن ما قيّد، ثم أثبتها في "نفحه"، لتصبح من مصادره. ومن هذه العبارات عدة أبيات رآها مكتوبة على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها ابن تشفين الزيَّاني، وأخرى رآها مكتوبة في الأستار الذهبية التي ستر بها أبو عباس أحمد المنصور الذهبي النواحي الأربع من القبة الكبيرة بـ: "البديع" إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على ذلك.

– **المصادر العيانية**: وهي مشاهدات المقّري المباشرة للأشياء التي تلعب دورها في هذه الحياة، وأعطاها أكبر أهمية في نفسه، ومما لا شك فيه

[1] ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 17/1 بينما يذهب عبد اللّه عنان، كذلك أن المقّري نقل عن بعض هذه الكتب بصورة صريحة من ذلك مثلا: إطلاعه الصريح على كتاب الخّيرة،لابن بسام، وعن تاريخ ابن حيان الكبير، ينظر: عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص383.

[2] محمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص448-475 وينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 17/1-18.

أن هذا التأثير يتجلى لنا في عباراته التي ساقها في كتابه بمناسبة زياراته العديدة لقبور الأولياء والعلماء، وبمناسبة رحلته من المغرب إلى المشرق الذي راح يتنقل فيه ويزور مدنه وقراه و عواصمه التي أوحت إليه بما سجله لنا في "نفحه".

فالمصادر العيانية هي تتجلى بوضوح في متطلبات العصر، وتقلبات الطبيعة ومخاضات المجتمع، فكل ذلك أثر في نفس المقّري، فراح يسجل لنا انطباعاته في تأليفه.

– **المصادر الشفوية**: هي النصوص التي تلقاها المقري مباشرة عن عدة أشخاص معاصرين له مثل:عمه العطوف، وشيخه الأوحد أبي عثمان سعيد المقري، وشيخه النصوح أبي عبد اللّه محمد القصار، وصديقه الحكيم وزير القلم عبد العزيز القشتالي، والطبيب أبي القاسم بن محمد الوزيرالغساني الأندلسي وتلاميذه وأصدقائه بالمغرب والمشرق، فقد تلقى من أفواه هؤلاء وغيرهم نصوصا نثرية وشعرية وأثبتها في نفحه؛ فأصبحت جزءاً هاما في مصادره.

– **الرسائل**: هي الرسائل الودية التي كان يبعث بها المقري إلى أصدقائه وتلامذته في مختلف الأنحاء فأثبت نصوصها في "نفحه" ومن بين تلك الرسائل رسالة تلميذه "أحمد الشهيني" التي بعث بها إليه من الشام ورسالة صديقه الشيخ محمد بن يوسف التأملي التي بعث بها إليه من المغرب الأقصى أيضا رسالة الشيخ عبد الكريم الفكّون مفتي مدينة قسنطينة بالجزائر

التي بعث بها من هناك إليه. ورسالة صديقه الحميم عبد العزيز الفشتالي التي بعث بها إليه من مراكش، والمقري حينئذ بفاس. أما عداها من الرسائل المذكورة فقد تلقاها من أصحابها وهو قاطن بمصر القاهرة.

– **الكتب**: ويدخل ضمنها جميع ما هو مخطوط بقلم حبر على أوراق ونقله المقري في "نفحه" مباشرة، أو ما كان ينقله بطريقة الحفظ سواء كان ذلك باللّفظ أو بالمعنى فقط. أو عن طريق كتاب علمي، أو أدبي، أو رسائل دية أو رسمية أو علمية أو تقاييد متنوعة أو وثائق معتمدة أو دواوين شعرية أو حكومية، و هلم جرا.

وما نلاحظه أن المقري لم ينجح إلى إحصاء مصادره في مقدمته كما فعل ذلك لسان الدين بن الخطيب (ت776) في "الإحاطة"، أو ياقوت الحموي (ت626هـ) في مقدمة "معجم الأدباء"؛ بل اتَّبع منهجا آخر تمثل في ذكر المصادر في متن تأليفه، عندما ينقل منها ما هو في حاجة إلى نقله هناك.

إذ لم يكن متميزا بذلك لوحده بل لقد فعل بالمثل صاحب"عيون الأخبار" ابن قتيبة (ت276هـ)، وصاحب "سير أعلام النّبلاء"، ومن الكتب التي نقل منها المقري كتابه "النفح" والتي وردت أسماؤها وأسماء مؤلفيها إما مبتورة أو محرقة، أو صحيحة بشكل متغير غير ثابت نذكر على سبيل

التمثيل لا الحصر[1]: "للسان الدين بن الخطيب"، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفوهي (ت400هـ)، و"القدح المحلي في التاريخ المحلي" لابن سعيد (ت685هـ) و"المسهب في غوائب المغرب"، للحجري عبد الله الأندلس (ت584هـ)، و(المطرب، من أشعار أهل المغرب) لابن دحية (ت633هـ) و"بدائع البدائة" لابن المظفر (ت 623هـ) إذ نقل عنه أكثر ما فيها من حكايات وأخبار أندلسية وكان من أخصب مصادره أيضا نسخة كاملة من كتاب "الذخيرة" لابن بسام (ت 543هـ) و"التكلمة الصلة" (صلة ابن بشكوال (ت 578هـ) لابن الأبَّار(ت 698 هـ) و"تاريخ قضاة الأندلس": لابن النباهي (ب 792هـ).كما أمعن في التفتيش على كل ما دونه المشارقة من أخبار الأندلس فاستعان بابن خلكان (ت 681هـ) صاحب وفيات الأعيان؛ وآثار كثيرة أخرى لم يظفر البحث الحديث بشيء من أصولها القديمة وقد نقل المقري إليها الكثير منها وهذا مما يزيد اليوم في فضله وفي أهمية كتابه.[2]

[1] قام بإحصاها الدكتور محمد بن عبد الكريم في كتابه، المقري وكتابه نفح الطيب، ص448-475 فوجدها تزيد عن 249 مصدرا. و لقد رتبها ترتيبا إلقائيا. وينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 132/7-6،63/52، 218/3-229، 168/8،168.

[2] المصدر نفسه، 18/1.

3.2. مكانته العلمية و الأدبية:

منذ أن اتسعت آفاق البحث أمام الباحثين في التاريخ العلمي والأدبي لبلاد الأندلس وأقطار المغرب العربي لم يجدوا مرجعا لهم يعتمدونه كل الاعتماد أوفى من أبي العباس المقري وكتابه العظيم "نفح الطيب"، فقد شاءت عريضة هذا الإمام الضليع من الأخبار والآثار الريان من العلم والأدب أن يجعل من شخصيته وزير غرناطة ودفين فاس، لسان الدين بن الخطيب (713هـ – 776هـ) محورا لموسوعة كبرى عن الأندلس وغابر ثقافتها حضارتها وتاريخها[1]، فقد وفد المقري على مصر بعد أن رسخت سمعته بالمغرب قضى بها بقية حياته وكتب فيها معظم كتبه في مقدمتها كتاب "نفح الطيب" وهو الأثر الذي خلد اسمه في المشرق والمغرب وأمد المكتبة الأندلسية بتراث جامع فياض ما زالت تنهل منه حتى يومنا. ولعله من التواضع أن يسمى نفح الطيب كتابا، فهو رأينا بمثابة موسوعة علمية ضخمة عن الأندلس وتاريخها وآدابها.[2]

وتتمثّل أهميته و قيمته في تلك التراث الحافل الذي تركه لنا المقري عن تاريخ الأندلس وآدابها.

---

[1] محمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص 448– 75 و ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1817/1.-

[2] زمامة، عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني، 931/39/3، وينظر: إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص267.

وفي أهمية تلك الشذور الضافية والوثائق الجمة التي ينقلها إلينا في كتابه هذا، ومن المدهش حقا أن يستطيع المقري أن يصنع مثل هذا الثر الضخم في مثل هذه المدة القصيرة[1] ولكن كان الفضل المقري في وضعه هذا الكتاب القيم يرجع إلى الاقتباس أكثر مما يرجع إلى التأليف "هذه صورة قد تخيل للقارئ أن الجهد في تأليف النفح لم يتعد تكديس المادة من المصادر التي تيسرت حينئذ للمؤلف.

ولكن من الجور على المقري أن لا نعترف له بفضله الكبير وقدرته رغم –الاستطرادات–علة تسخير مادته لتصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية بالأندلس، وحرصه على أن يستنفذ من يدي النسيان والضياع كثير من الأخبار عن الأندلس والمغرب؛ وما يزال قسم كبير من كتابه منقول عن أصول ضاعت ومستوعبا لأصول أخرى لا نجدها في سواه. وقد ظهر كثير من المصادر التي نقل عنها خلال الأعوام المائة الأخيرة، إلا أن ظهورها لم ينقص من قيمة النفح كثير، بل إن وجود النفح كان بمثابة الوثيقة النافعة في تحقيق تلك المصادر وعلى سبيل المثال، اعتماده كثيراً على المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ولكن المقارنة الأولية بين نص المغرب المنشور ونص النفح تدلنا على أن المقري اعتمد نسخة أوفى بكثير من هذه التي بيدينا؛ كما نقل كثيرا من المطمح ولكن اعتماده على المطمح الكبير الذي لا نعرفه حتى

[1] عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية،ص 379.

اليوم يجعل نقوله نسخة منفردة في عدة أمور. الأمر يبدو على وجه أوضح إذا ما تساءلنا: أين هو "الطالع السعيد" و"الروض الأريض" "وجنة الرضى" وكتب المقري الجد والأزهار المنثورة وغيرها من الكتب الكثيرة التي استعان بها المقري في هذا التأليف؟."[1]

والحقيقة إنّ اتخاذ النّفح طابع الموسوعي جعل منه نموذجاً منفرداً يغني عن عشرات الكتب لصعوبة الرجوع إليها مرة واحدة، أو لفقدانها واندثارها لأسباب ما لنا بصدد الحديث عنها، ولولاه لضاعت مع مصادرها الأصلية إلى الأبد وحيل بيننا وبين الوقوف عليها والانتفاع بها.

4.2. طبعاته:

نظراً للمكانة التي يحتلها ولا يزال كتاب "نفح الطيب" على ساحة المعرفة، إذ يعد من أقدم الكتب الأندلسية التي رأت النور وعرفتها المطبعة العربية، وكان مصدرا لأكثر ما عرفه المشارقة عن الأندلس في مدى مائة عام. أو أكثر، فإنه لم ينل من عناية المحققين ما ينبغي له. وخير طبعة ظهرت منه تلك التي تولاها بالعناية كل من دوزي ودوجا وكريل ورايت (في لندن سنة 1855م)، فقد اعتمد هؤلاء المستشرقون على النّسخ الخطّية التي توافرت لهم في باريس ولندن (و أكسفورد) وبرلين وكوبنهاجن وبطرسبورغ نشروا الكتاب في قسمين يحتوي كل قسم على جزأين وألحقوا بذلك جزءاً

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 18/1.

صغيراً يضم الفهارس و التصويبات إلاّ أنّ هذه الطبعة لم تشمل إلا القسم الأول من النّفح وعلى الرّغم من ذلك فقد جاء في طابع علمي موثّق.[1]

كما طبع النّفح بكامله عدة طبعات في المشرق كان أولها طبعة بولاق سنة 1279هـ (1862م) وهي على ما فيها من جهد مملوءة بالأخطاء وليس ما في الطبعة الأوروبية من دقة علمية، ثم طبعة المطبعة الأزهرية عام 1302هـ (1884) وهي نسخة مكررة عن الأولى وأكثر منها وقوعا في الأخطاء؛ كما قامت دار المأمون بمصر بإصدار الكتاب في طبعة جيدة مشكولة غير أنها لم تنجز من عملها هذا سوى تسعة أجواء، وهي أقل ربع حجم الكتاب.[2] وهناك طبعة أخرى من الكتاب كانت آخر الطبعات المشرقية صدرت بالقاهرة سنة(1949م) بإشراف وتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فجاءت في صورة مقبولة نوعا ما.[3]

وقد أشار إليها الدكتور إحسان عباس باسم التجارية إشارات قليلة كما أنه لا يعدها لأنها لم تعتد على نسخ خطية. كما إنها تحتاج إلى مزيد من الإتقان الشرح والتعليق وتقع في عشرة أجزاء. وقد نشر النفح من جديد بعدها في بيروت بتحقيق الدكتور إحسان عباس في طبعة مزودة بفهارس

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 18/1. ومحمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص481.

[2] صوفي، عبد اللطيف، مصادر الأدب في المكتبة العربية، ص 271.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 273.

تقع في ثمانية مجلدات ويقول عنها صاحبها: "وفي سبيل أن أوفر لهذه النشرة الجديدة ما تتطلبه الأمانة العلمية من جهد راجعت النفح على كل ما استطعت الحصول عليه من مصادره –خطية كانت أو مطبوعة– وسيجد القارئ في الحواشي والجزء الخامس بالفهارس أنّي راجعت في سبيل ذلك عشرات الكتب. ورصدت نقل المقري على نحو يكشف عن أصول كتابه حتى حين يصمت عن ذكر تلك الأصول؛ وترجمت للأعلام ترجمات قصيرة أو أشرت إلى مصادر تراجمهم، وشرحت ما اعتقدت أن الشرح فيه ضروري ولم أستكثر من الشروح اللغوية لأن ذلك يخرج الكتاب –وهو ضخم بطبيعته– إلى حجم كبير جدا. وأما فروق القراءات لا حيث يكون الخطأ واضحا، بل حيث تكون القراءة ذات وجه مقبول. وزودت الكتاب بفهارس شاملة لكي يكون الانتفاع به ميسوراً، فإن كثرة الاستطراد فيه وتشعب أجزائه تجعل الإفادة منه –دون فهارس تفصيلية– أمراً بالغ العسر. وأبحث لنفسي ترقيم بعض فقرات هذا الكتاب ووضع عناوين لأجزائه كي أسهل على القارئ والباحث استعماله ومراجعته". على أن كل ذلك لم يكن ليعطي لهذا العمل صبغة فارقة لو لم أعتمد على عدد من مخطوطات النفح نفسه أعانتني كثيرا في التحري والتدقيق، وقد راعيت أن تكون هذه

المخطوطات مما لم يطلع عليه محققو الطبعة الأوروبية مثبتين النسخ التي اعتمدناها مع هذه النسخة في الاستقراء التالي.[1]

5.2. مصادر المقري فيه:

أشرنا قبلُ ونحن نتحدَّثُ عن المصادر التي استقى المقّري منها مادّته العلمية، والتي كوّنت منهل ثقافته، إلى أنّه أفاد من القرآن الكريم وعلومه ومن الحديث الشريف وفقهه، وأكثر من مجالسة أعلام زمانه، حتى أصبح بعد ذلك قدوة يُستضاءُ بها ويُسارُ على هديها ومنهاجها. كما كان لرحلاته إلى بلاد الأندلس وإعجابه بوزيرها لسان الدّين بن الخطيب دفعاً قوياً لشوقه وتلهّفه لمعرفة أخبار أهل تلك البلاد، وما خلّفوا من آثار مختلفة. وشيئا فشيئا تشكلت لديه ثقافة شاملة عن أهلها, وعنها أي الأندلس وعن وزيرها على الخصوص ومكنته في كلّ ذلك لعرض تراجم عامة لهم مركزا على وزرها لسان الدين في حلة موسوعية هي كتابة نفح الطيب فقد تميز _كما أسلفنا ذكره في الفصل الأوّل الذي خصصناه للتعريف به فقد تنوعت محاوره الكبرى, ومضامينه الأساسية التي تتألف من مادته الفنية. ويجدر بنا أن نذكر بتلك المضامين, أو المحاور التي من نوعان لندرس من خلالها نوعية المصادر التي اعتمد عليها أبو عباس المقري في تأليفه لهذا الكتاب.

[1] المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/17-18.

فالمضمون الأول تناول التعريف بالأندلس، وما يتعلق بها من الوصف والأخبار، ومن رحل منها و إليها من المشرقيين والأندلسيين.

أما المضمون الثاني في التعريف بلسان الدين بن الخطيب، وذكر كل ما يتعلق به من قريب أو بعيد هذا ناهيك عن الأبواب التي كانت تحت هذه الفروع، بحيث أنها كلها تشكل كلا لا يتجزأ.

ومن خلال ما ذكرناه يتجلى لنا مظهر من مظاهر التكوين الثقافي عند المقري, فهو يأخذ الأخبار، والعلوم من مصادرها، ليكون فكرة عامة عما يريد الخصوص فيه مستعينا بذاكرته القوية[1] في استحضار تراجم شخصياته في بعض أحاديثهم وأقوالهم، مع ذكر آثار في أغلب, ليخلص إلى تقديم نماذج من التراجم والأحداث والأخبار التي فقدت مصادرها في الغالب إلى قرأته وطلبته, فهنا يتوضّح لنا بجلاء مصادر التي استقى منها المقري مادته على الرغم من أنه لم يشير إليها مباشرة، أو علانية[2] إذا أنه من الأمر المستحيل أن المقري , كم يذكر لنا المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه لكتابه "النفح" الذي يعد من أهم المصادر الأندلسية التي تحوي، كما ذكرنا ذلك سالفا, تاريخ الأندلس وأعلمها, الذي لا غنى دارس في الأدب الأندلسي عنه.

[1] ينظر: محمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، ص 314.

[2] ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 107/1-108.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّه من البدَهي أن موسوعة كموسوعة المقري هذه لا يمكن, بل ومن المستحيل أن يتم كتابتها بدون رجوع إلى أمهات الكتب, التي تناولت الأدب الأندلسي بالدراسة والتحليل, هذا ما جعل العديد من الدارسين والباحثين, والنقاد يتناولون كتابة بالدراسة, والتحليل والنقد لاكتشاف خباياه. وما يحويه من كنوز المعرفة الأندلسية, ومن أهمهم: "محمد بن عبد الكريم" الذي قام بموازنة الدقيقة في كتابة المعنوي" ومن أعلام الجزائر: المقري وكتابة نفح الطيب" وذلك الإحصاء واستقراء المصادر التي استقى منها المقري مادته وخلص إلى إحصائها وهي تزيد عن مائتين وتسعة وأربعين مصدرا[1] ناهيك عن غيرها التي لم يستطيع حصرها وإحصائها. وأمّا "عبد إله عنان" في كتابه:" تراجم إسلامية شرقية وأندلسية"، فذكر فيه بعض المصادر التي اعتمدها المقري, الذي نقل تاريخ ابن حيان الكبير مؤرخ الأندلس, وهو الذي انتهت إلينا مؤلفاته المؤلف الكبير "المقتبس وابن بشكوال في التكملة" وابن سعيد "في بيان المغرب" وغيرهم وكتب عديدة لابن الخطيب ما تزال مخطوطة, وكان من أخصب مصادره أيضا نسخة كاملة من كتاب الذّخيرة لابن بسام وما زال معظمه مخطوطا حتى اليوم وآثار كثير أخرى لم يظفر البحث الحديث بشيء من أصولها القديمة، وقد نقل المقري الكثير منها[2] ذلك أن المقري لم يكن مؤرخا بالمعنى الحقيقي, بل

[1] ينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ص448- 475.
[2] عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية،ص 338.

كان أديبا فقط وهو لا يزعم أنّه مؤرخ أو يحقق أو ناقد، وإنّما يقول لنا إنّه ناقلٌ فقط, يورد من المعلومات والشذور ما اتفق, ولا يعني تمحيصها أو تحقيقها[1] كما أشار إحسان عباس[2] الذي حقق الكتاب نفح الطيب تحقيقا دقيقا, وهي النسخة التي تعتمد في دراستها عليها, إلى نفس المصادر المذكورة أعلاه تقريبا و التي اعتمدها المقري في تأليفه للنفح.ولا يتسع لنا المقام هنا استعراض المصادر التي نقل عنها المقري لكن ما تخلص إليه عن استقراءات هؤلاء النقاد والدارسين أن المقري اعتمد على جملة من الكتب منها ما لم يصل إلينا, ومنها ما وصل إلينا فمن الكتب التي وصلت إلينا: كتاب "المقتبس من أنباء أهل الأندلس", لابن حيان القرطبي (ت 469هـ) وكتاب "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه, والأدب ذوي النباهة والشعر", لعبد الله الحميدي (ت 488هـ) وكتب "الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسّام الأندلسي (ت543هـ) وكتاب "وفيات الأعيان في أنباء أهل الزّمان" لشمس الدّين بن خلّكان(ت 681هـ) ومن تم فقد دلتنا دراستنا لمحتويات الكتـــاب على وضـــوح أثر المصـــادر

[1] المصدر نفسه، ص 380, وينظر: المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 13.

[2] ينظر : المصدر نفسه،7/1.

الأندلسية التي استقى منها المقري مادته[1]، إضافة إلى مصادر عديدة أخرى حال دون ذكرها في مقدمة نفحه نظراً لعدم قدرته على اصطحاب مكتبته بتلمسان إلى الشّام، معتمداً في ذلك ربّما على ما علق بذاكرته منها.

6.1. الموازنة التّرجميّة بين النّفح وبعض مصادره:

– محمد بن فطيس بن واصل الغفاقي الألبيري بين ترجمتي نفح الطيب وجذوة المقتبس.

يقول المعري عنه في الجزء عنه:

"ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الإلبيري، الزاهد قال الحميدي في حقه، هو من أهل الحديث والحفظ والفهم، والبحث عن الرجال، وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن عبد الله بن وهب وغيرهما، وروى بالأندلس عن جماعة منهم بقي ابن مخلد،وابن وضاح، وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ قام ابن الفوضي:كان شيخا نبيلا ضابطا لكتبه، ثقف روايته، صدوقا في حديثه وكانت الرحلة الرحلة إليه بإلبيرة وبها مات في شوال سنة 319هـ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى."[2]

---

[1] تُوازَن مثلاً ترجمة" يحي بن الحكم الجياني الغزّال بين نفح الطيب، 351/1،282، 346و155/2، 254-260 و182/3، 438 وبين ما منها في المقتبس،11، 13، 64، 70، 170، 180، 185 وتوازن كذلك ترجمة"صاعد البغدادي" بين نفح الطيب، 400/1، 588، 282،581، و78/2، 132، 244، 510، و75/3-77. و أحمد بن محمد بن أبي بكر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، 488/2.

[2] ينظر:المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 118/2.

أمّا الحميدي، فيقول عنه:

"محمد بن فطيس بن واصل الغافقي الإلبيري الزاهد، من أهل الحديث والفهم والحفظ. والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، يونس بن عبد الأعلى، رابا عبيد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب، وإبراهيم بن مرزوق، ونصر بن مرزوق المصري، ومحمد بن خلف العسقلاني، ويوسف بن يحي المغاميّ؛ وحدّث بالأندلس فروى عنه جماعة من أهلها منهم: خالد بن سعد، ومحمد بن أحمد بن مسعود؛ وكانت وفاته بالأندلس سنة تسعة عشرة وثلاثمائة وذكره أبو سعيد بن يونس وقال، كتبت عنه: أخبرنا أبو عمر يوسف بن قاسم بن عبد الله النّمرى قال: أخبرنا قاسم بن محمد بن قاسم ابن عسلون قال: حدثنا خالد بن سعد قال حدثنا محمد ابن عبد الله ابن عبد الحكم قال: سمعت أشهب يقول: "سئل مالك بن أنس رحمه الله عن اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: خطأ وصواب "فأنظر في ذلك.أخبرنا أبو محمد على ابن أحمدي سعيد الحافظ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكناني، قال، أخبرني أحمد ابن خليل، قال: حدثنا خالد بن سعد، قال سمعت سعيد بن عثمان العناقي، وسعد بن معاذ ومحمد بن فطيس يحسنون الثناء على أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وهو ابن أخي بن وهب ويوثّقونه، وكان محمد بن فطيس يعنّق أحمد بن شعيب في تحامله عليه، وقال لنا سعيد بن عثمان، لما قدمنا مصر وجدنا يونس أمره صعبا له دنانير

وأعطيناه إيّاه. فقرأ لنا "موطأ" "عمّه و"جامعة" قال خالد: فسمعت محمد بن فطيس يقول: وقد ذكر هذا الخبر قال: فصار في نفسي من ذلك شيء فأردت أن أسأل ابن عبد الحكم عن ذلك، وكنت أقرأ عله رأى أشهب فخشيت إن سألته في أوّل المجلس عن ذلك يخرج عليّ، إذ كانت فيه حدّة فلما قرأت عليه بعض الكتاب، قلت له: أصلحك الله العالم يأخذ الأجرة على قراءة العلم؟ قال: فضرب الدفتر الذي كان بيدي من أسفله حتى ارتفع إلى وجهي، وشعر فيها ظهر لي: أنى إنما سألته عن ابن أخي ابن وهب فقال لي: جائز عافاك الله! حلال أن لا أقرأ لك ورقة "إلا بدرهم، ومن أخذني أن أقعد معك طول النهار، وأدع ما يلزمني من أسبابي ونفقة عيالي؟."[1]

يبدو من خلال ترجمة "محمد بن فطيس" التي ورد ذكرها في "نفح الطيب" وما ورد منها في "الجدوة " للحميدي، أن المقري قد اعتمد على ما خاء في الجدوة متبينا الأمانة العالمية للنقل المباشر، وهذا ما نلحظه من خلال الأمثلة الآتية في قوله: "محمد بن فطيس الغافقي اللإلبيري الزاهد" وفي: "هو من أهل الحديث والحفظ، والفهم، والبحث عن الرجال"، وفي: "وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم"، و في: "ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب" ولم يتطرق إلى هاته الترجمة عفويا بل

[1] الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، ص351.

أحال على صاحبها بقوله: "قال الحميدي"، دون أن يذكر المؤلف الذي اعتمده من مؤلفاته، أي لم يدلل على كتاب بعينه، وربما كان يعد ذلك من بديهيات الأمور لأن كتاب الجدوة ذلك من المؤلفات التي اشتهر بها الحميدي، فقد كان من أهم الكتب التي عنيت بتراجم للأندلسيين في ذلك العصر، وما نلاحظه من اختلاف بين المترجمين من حيث المنهجية، أو عرض ترجمة بالأخرى أن الحميدي ذكره ضمن تطرقه إلى أسماء رواة الحديث أما المقري فذكره ضمن الباب الخامس: في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق. ومخاطبة أعيان دمشق المؤلف. كما أن هناك اختلاف في عبارات الكتابين، إذ يقول المقري: "روى بالأندلس عن جماعة منهم" أما الحميدي يقول: "حدث بالأندلس فروى عن جماعة من أهلها منهم" وهو المعني نفسه بين أن المقري اختصر العبارة الوارد فيها وأما ما ذكرهما من الأسماء للرجال الذين أخذ عنهم فهناك اختلاف بحيث يقول المقري: "ومنهم: بقيّ بن مخلد، وابن وضاح"، أما الحميدي فيقول: "ومنهم: خالد ابن سعد، ومحمد بن أحمد بن مسعود "فهو إذن يعدد عدد شيوخ محمد بن فطيس إذ حصرهم بالمائة، ومما يدل على أن المقري كان على دراية واسعة بحياة المترجم له حتى يتمكن من تعداد شيوخه في حين سكت الحميدي عن ذكر هاته المعلومات فقد سكت عنها،فلم يذكر عدد شيوخ محمد بن فطيس.

كما أن المقري لم يعتمد على رواية الحميدي فقط، بل تطرق إلى رواية أخرى هي رواية ابن الفرضي. لكنه لم يذكر الكتاب الذي اعتمد عليه من كتبه، بل اكتفى بذكر اسمه فقط بأن قال: " قال ابن الفوضي: كان شيخا نبيلا ضابطا لكتبه، ثقة في روايته صدوقا في حديثه، وكانت الرحلة إليه بالبيرة" فهذه شهادة حية على الشخصية التي يحملها محمد بن فطيس بأنه نبيلا، ثقة في روايته، وصدق في حديثه، فكان الطلاب يرحلون إليه بالبيرة فهي مسقط رأسه، ثم يذكر أنه توفي فيها مع ذكر سنة الوفاة، وعمره أثناءها بقوله: "وبها مات في شوال سنة 319، وهو بن تسعين سنة رحمه الله تعالى. في حين أن الحميدي ذكر في سنة وفاته مباشرة بعد ذكره رووا عنه بقوله: وكانت وفاته في الأندلس سنة تسع عشر وثلاثمائة "وسكت عن ذكر عمره أثناءها ولقد استطرد المقري في ذكر اسم محمد بن فطيس في الجزء الثاني ص646 من الباب نفسه, وهو بصدد الترجمة لعبد الله بن أبي عامر (والد المنصور) أورده المحقق تحت رقم: 280 إذ قال: "إن محمد بن فطيس من بين الرجال سمع عنهم أبي عامر، فيقول: "وهو والد منصور أبي عامر ويكنى أبا حفص، سمع الحديث ومتبه عن محمد بن عمرة بن لبابة، وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس، أما في "الجذوة" فقد أسهب في ذكر من أخباره عن محمد بن فطيس، وهو متبع منهج النقل غير المباشر عن طريق العنعنة وهم بالترتيب حسب ما في ترجمة الحميدي: "أبو سعيد بن يونس بن عبد الله النمري" في قوله: في قوله: "عسلون" و"خالد بن سعيد" الذي يورد رواية

محمد بن فطيس، في قوله: حدثنا خالد بن سعد، قال حدثنا محمد بن فطيس، قال "محمد بن عبد الله بن الحكم، قال سمعت أشهب يقول: سئل مالك أنس رحمه الله اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: خطأ وصواب "وهذه الأخيرة دليل على أن محمد بن فطيس من رواة الحديث ثم يريد الحميدي: قصة حدثت لمحمد بن فطيس مفادها أنه كان يحس الثناء عل أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وهو ابن أخي ابن وهب ويوثقه مع سعد ابن عثمان العناقي وسعد بن معاذ، في أن كان سعيد بن عثمان قال: لما قدمنا مصر وجدنا يونس أمره صعبا، ووجدنا ابن أخي وهب أسهل وكل ذلك يتضح لنا من خلال قوله: "أخبرنا أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد الحافظ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلمة الكنائي فقال: أخبرني أحمد بن خليل: قال حدثنا خالد بن سعد. قال سمعت سعيد بن عثمان العناقي، وسعد بن معاذ ومحمد بن فطيس يحسنون الثناء على أحمد ابن عبد الله بن وهب وهو ابن أخي ابن وهب ويوثقونه، وكان محمد بن فطيس بعنق أحمد بن شعيب في تحامله عليه وقال لنا سعيد بن عثمان لما قدمنا من مصر وجدنا يونس فقرأ لنا "موطأ" عمه و"جامعه". فقال خالد: فسمعت محمد بن فطيس يقول: "وقد ذكر هذا الخبر، قال فصار في نفسي من ذلك الشيء، فأردت أن أسأل ابن عبد الحكم عن ذلك، وكنت أقرأ عليه رأي أشهب فخشيت أن سألته في أول عن ذلك يحرح على إذ كانت فيه حدة, فلما قرأت عليه بعض الكتاب، قلت له: أصلحك الله ! العام

يأخذ الأجرة على قراءة العلم ؟ قال: فضرب الدفتر الذي كان بيدي من أسفله حتى ارتفع إلى وجه، وشعر فيها ظهر لي, أني أنما سألته عن ابن أخي ابن وهب فقال لي: جائز عفاك الله ! حلال أن لا أقرأ لك ورقة "ألا بدرهم، ومن أخدني أن أقعد معك طول النهار وأدع ما يلزمني من أسباب زتفقة عيالي" ومما يلحظ على ما ذكرته عن هاذه الرواية للحميدي عن محمد بن فطيس أنه رواها عن طريق العنعنة ولم يرجع إلى مصدر أو مرجع بعينه بل كانت ذاكرته هي مصدر أساسي لكن المقري، لم يشعر إلى كل ذلك ؟ وربما رأى في ذلك كلام استطراد لا طائل من روايته.

*** الخاتمة:**

من جملة النتائج التي توصلنا إليها:

– أنّ أبا العباس أحمد المقّري التلمساني قد اعتمد فعلا في تأليفه لموسوعة "نفح الطيب" على مصادر عديدة لا تحصى، رغم اعتذاره عن عدم وجود مكتبته في الشام، بل ترك أكثر كتبه في الجزائر (بتلمسان) والمغرب وعدم تصريحه في مقدمته بنقله منها.

– كما أنّ كلّ الاستنتاجات والاستقراءات التي قام بها محقّقون كثُر والذين عنوا بنفح الطيب لتحقيقه والذين تطرقنا لبعضهم في هذه الدراسة كعبد الله عنان، ومحمد ابن عبد الكريم وإحسان عباس. فإن كل النتائج التي توصلنا إليها تبين صدق وصحة ما ذهبوا إليه بعد البحث الجاد، والنقد البناء.

ومن ذلك المنطلق، فإن دراستنا هته ما هي إلا جزء أو إعادة لما توصلوا إليه، لكن الجديد فيها يتمثل في إيراد نماذج من كلا كتب التراجم للموازنة فهي إذا تطبيق عيني لآراء نقدية فحسب، للتأكيد والتثبيت والاستنتاج، ونسوقها تباعا:

– إن موسوعة نفح الطيب لم يكن لها طابع تاريخي فحسب، بل اشتملت على جانب في الأدب الأندلسي، وغاصت في غمار التاريخ العربي الإسلامي.

– إنّ كل ما جاء به المقّري في كتابه "نفح الطيب"، كان اقتباسا من كتب تراجم أخرى كالمقتبس، وجذوة المقتبس وغيرها.

المصادر والمراجع:

– أحمد بن محمد بن أبي بكر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر بيروت، دط، دت.

– إسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1976م.

– بروفينسال، ليفي، نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى،مطبوعات لاروز، باريس، دط 1948م.

– حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القسطنطينة مطبعة دار السعادة، دط،1311هـ.

– الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي تونس، ط1، 2008.

– الزركلي، خير الدين، الأعلام– قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، ط3، 1389هـ – 1969م.

– زمامة،عبد القادر، المقري أبو العباس التلمساني ضمن مجلة المجمع العلمي العربي، ج:3، المجلد: 39، دمشق، 1384هـ-1964م.

– صوفي، عبد اللطيف، مصادر الأدب في المكتبة العربية، دار الهدى،عين مليلة، دط، 1994 م

– عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1 2006.

– عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط2، 1390هـ.

– القرطبي، أبو حيان، المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تح.عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة بيروت، لبنان، دط، دت.

–المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت دط، 1960م.

– محمد، بن عبد الكريم، التحفة المرضية في تاريخ الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، مطبعة دار الثقافة، بيروت، ط2، 1972م.

– محمد، بن عبد الكريم، المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

– المقري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي، القاهرة، دط، 1939–1942.

– المقّري أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط دط، 1960م.

– المقّري، أحمد بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن القرشي، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان دط، 1388هـ–1968م.

– نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان ط3، 1413هـ–1983م.